الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

محاضرات في مقياس النقد الأدبي القديم

السداسي الثاني

السنة الأولى ليسانس

د/الياس مستاري

السنة الجامعية:2020/2019

المحاضرة 1:المؤثرات الأجنبية في النقد العربي

هل تأثر النقد الأدبي عند العرب بالنقد الأدبي عند اليونان ؟

لقد شهد القرنان الثاني والثالث حركة ترجمة واسعة، قربت بين الثقافات المختلفة من هندية وفارسية ويونانية وعربية، وفتحت مصادر علمية وفكرية جديدة.

وقد نقلت الآثار الفعلية الباقية مما حفظ التاريخ من آثار اليونان، وخصوصا كتاب الشعر وكتاب الخطابة، ولاشك أن العرب اطلعوا على هذين الكتابين واطلاعهم على ما تضمنه كل منهما من آراء أرسطو في الشعر اليوناني والخطابة اليونانية.

وجوه التأثير:

يصعب تعيين جميع وجوه التأثر التي تجلت في الأدب والنقد. لأنها كثيرة، فقد وقف العلماء والنقاد العرب على آثار اليونان ومناهجهم واتجاهاتهم في تعليم الأدب ونقدهم إياه.

و سنستعرض بعض النقاد العرب القدامى الذين تأثروا بالنقد اليوناني و أهمهم:

الجاحظ: (ت255هـ)

منذ مطلع العصر العباسي نلمس مظهرا من مظاهر اهتمام العلماء والنقاد والأدباء العرب بفن الخطابة، ورغبتهم الحثيثة في تعلم أصولها، ومعرفة عوامل الإصابة من الموقف والمنطق والهيئة، وهذا ما يعرف عند الخطباء المحترفين عند اليونان، وهذا واضح في آثار الجاحظ وبيانه الفن الخطابي، وعناصر تقدمه وازدهاره.

والجاحظ بهذا يريد أن تكون للعرب خطابة كخطابة اليونان، وأن يكون فيها هو الكاتب كما كان أرسطو هو الكاتب في خطابه اليونان.

وقد نقل الجاحظ عن اليونان تعريفهم البلاغة بأنها: «تصحيح الأقسام واختيار الكلام».

قدامة بن جعفر (337هـ):

لقد كانت الثقافة اليونانية من ابرز المؤثرات في قدامة بن جعفر، فقد كان ممن يشار إليه في علم المنطق ونحو الفلاسفة الفضلاء.

وله كتاب في صناعة الجدل، ويدل كتابه في الخراج على ثقافة حسابية دقيقة.

وقد أفاد من منهج أرسطو في نقد الشعر ونقد النثر وفي كتابة الأول دلالة صريحة على تأثره اليوناني، وذلك مثل كلامه في الحد والنوع والجنس والفصل. وهي مصطلحات منطقية أرسطية.

ومن ناحية قواعد النقد يمكن الإشارة الى بعض مظاهر التأثر الواضحة بالنقد اليوناني:

-في كلام قدامة عن الغلو في المعاني،و رأيه أن الغلو أفضل من الاقتصار على الحد الأوسط،حيث يرى أن الغلو أجود المذهبين و هذا رأي فلاسفة اليونان.

-في باب المدح يرى قدامة أن الحماية و الدفاع و الأخذ بالثار و النكاية بالعدو و المهابة و قتل الأقران كلها من أقسام الشجاعة،أي من فضائل النفس التي يمدح بها،وكذلك هي عند أرسطو.

حازم القرطاجني:(ت684هـ)

يمكن القول إن آخر حلقة وصل بين النقد اليوناني و النقد العربي هو كتاب (منهاج البلغاء و سراج الأدباء) لحازم القرطاجني ،و قد ظهر هذا الناقد في وقت كان يعاني فيه الشعر و النقد على حد سواء،فكان لابد من ظهور ناقد يستطيع أن يجمع بين الثقافتين :العربية و اليونانية،فالشعر بعد اليوم لا يمكن أن يعتمد على رجل واحدة، بل لابد له من رجلين اثنتين .

لقد وجد حازم تراثا كبيرا من النقد القائم على الطريقة العربية،وبين يديه تلخيص ابن سينا لكتاب الشعر لأرسطو،و من المزاوجة بين هذين التراثين،حاول أن يرسم منهاجا للبلغاء و سراجا للأدباء،و استطاع أن يمثل المزج بين التيار اليوناني والتيار العربي في النقد بعد أن ظلا منفصلين مدة طويلة.

وفي تعريفه للشعر أثر واضح لتأثره بالفلاسفة المسلمين كابن سينا و الفارابي وابن رشد،وقدامة بن جعفر و الجاحظ، و بنظرية المحاكاة لارسطو.فحين تناول سبب قوة المحاكاة على التأثير عاد الى ابن سينا ونقل ما قاله ارسطاليس في التذاذ النفوس و انفعالها بالمحاكاة من حيث هي محاكاة.

.

المحاضرة2:أثر المعتزلة في النقد الأدبي:

كانت حرية الفكر في الإسلام سببا في تعدد الفرق وظهور المعتزلة، وهو يذهبون إلى تطبيق النصوص الدينية على الأحكام العقلية، وكان بنو العباس أميل إلى القياس والرأي، فاستفاض فيهم هذا المذهب، فثار جدل بين السنة والاعتزال في مسائل عدة. واستعين بالفلسفة اليونانية بعد الترجمة، فنشأ من ذلك علم الكلام وكان مبدأ لظهور الفلسفة العربية. وأول ما يطالعنا من النقاد المعتزلة أبو العباس عبد الله بن محمد(ابن شرشير) ،وكان متكلما نحويا عروضيا، وقد عرف الشعر بقوله: «الشعر قيد الكلام وعقال الأدب وسور البلاغة ومحل البراعة، ومجال الجنان الغريب ومسح البيان وذريعة المتوسل ووسيلة المترسل وذمام الغريب وحرمة الأديب، وعصمة الهارب، وعذر الراهب، وقرحة المتمثل وحاكم الإعراب وشاهد الصواب» وهذا التعريف يشير إلى طبيعة الشعر، من حيث إنه مقيد بإيقاع، ولذا فهو يتطلب براعة خاصة.

فهو وسيلة الشاعر إلى استفتاح المغلق وعون للكاتب المترسل وسبيل للاعتذار، وموطن للتمثل وايراد الشواهد النحوية واللغوية.

وكانت الدوائر الاعتزالية من أكثر المجالات اهتماما بالنقد سواء ما تناول الخطابة أو الشعر، ولا يمكن اقتصار الحديث عن بشر بن المعتمر والجاحظ.

وقد اندفع المعتزلة إلى استبانة المقاييس البلاغية والنقدية لعاملين كبيرين:

أولهما: أن البلاغة عنصر هام في الإقناع، والإقناع غاية الجدل الكلامي، ولهذا كان بعض علماء المعتزلة معلمي بلاغة.كما كان سفسطائيو اليونان، وعلى هذا يظهر دور صحيفة بشر بن المعتمر، ويظهر كذلك دور المتكلمين، لأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير الخطباء، وقد شهد الجاحظ لثمامة بن أشرس المعتزلي بقوله: «وما عملت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن

الإفهام مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما قد بلغه...».

وقد قررت صحيفة بشر بن المعتمر أشياء أصبحت مشتركة بين نقد الخطابة ونقد الشعر، منها اعتبار اللحظات التي يسمح فيها التحول والابتعاد عن الكد والاستكراه، والملائمة في اللفظ والمعنى.

فالمعنى الكريم يحتاج إلى لفظ كريم، والبليغ التام من استطاع أن يفهم العامة معاني الخاصة، ثم لابد من الملائمة بين المعنى والمستمعين، فكل طبقة كلام. ولكل حالة مقام.

وأصبح التناسب بين المعاني والمستمعين هو مدار القبول في البلاغة الخطابية، ومنه استمد تعريف البلاغة وأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وهذا المبدأ هو بداية الصحيفة الهندية التي أكدت على التناسب في الألفاظ والمعاني وعدم مخاطبة الملوك بكلام السوقة.

ثانيهما: إيمان المعتزلة –على الرغم من دراستهم للثقافات الأجنبية وتأثرهم بها –أن الشعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها، مصدر لأنه يتسع لدراسة معارف في الحيوان، والنبات، والأتربة.. ووعاء لأنه مكن بشر بن المعتمر من أن ينظم قصائد في الحيوان، ويمنح الناشئ وسيلة صالحة ليتحدث عن أنواع المعارف في 4 آلاف بيت ويتيح لصفوان الأنصاري شاعر المعتزلة أن يتحدث عن خيرات الأرض.

كل هذا يمنح أصحابه قوة في وقفتهم ضد الشعوبية والقول بأن القرآن معجز في النظم، وتمسكم بالطريقة التقليدية في بناء القصيدة، وهذا دفاع عن الموروث العربي.

وكانت هذه الموجة الاعتزالية أكبر قوة فاعللة في تطور النقد الأدبي أثناء القرن الثالث، وكذا المتأثرين بها، فقد أخذ ابن قتيبة السني مبادئ صحيفة بشر بن المعتمر والصحيفة الهندية من حديث حول اللفظ والمعنى ومراعاة نفسية السامعين.

وكذا أخذ المبرد مفهوماته عن الاستعانة والتشبيه والإيحاء من المدرسة الاعتزالية ومبادئها البلاغية. وأقبل ابن المعتز على بيان الجاحظ في تخرج سنه مبحثه في البديع واستعار مصطلحه عن المذهب الكلامي، وهو نوع من البديع نشأ في جو اعتزالي.

المحاضرة 3:النقد وقضية الإعجاز:

شغل القرآن الكريم العرب منذ أن أوحى الله سبحانه إلى رسوله الكريم، فبهرهم ببيانه، وأعجزتهم بلاغته، وأدرك العرب منذ البداية أنهم أمام كلام لا يشبه ما كان عليه شعرهم ولا خطابتهم ولا أمثالهم، واكتفى العربي الفصيح البليغ باللمحة الدالة، وأدرك بإحساسه مواضع الإعجاز فطرة، ثم تغير الزمان، وتغيرت السليقة، وأخضع البحث العلمي كل شيء للتحليل والدرس، ونشط المتكلمون في مجادلة أهل الملل الأخرى، وكان الحديث عن إعجاز القرآن ومواضع ذلك فيه أمرا شغل عددا منهم، فساعد كل ذلك على نمو الدراسات النقدية والبلاغية، بشكل مباشر حين تناول ذلك بلاغة القرآن ومواضع إعجازه.

وقد كان المتكلمون الذين تناولوا مسألة الإعجاز فريقين: المعتزلة وفيهم النظر والجدل على مقاييس التزموها، وكان لبحوثهم في إعجاز القرآن أهمية كبرى لأنهم شغلوا بالقرآن أيضا من وجه آخر يتعلق بـ(خلق القرآن).

والفريق الثاني: الأشاعرة، وهم أعداء المعتزلة من حيث الموضوعات الكلامية، ولكن كلا الفريقين أسهم في معالجة فكرة الإعجاز،فقد قال بعض المعتزلة كالنظام: إن الله صرف عبادة عن معارضة كتابه، بمعنى أن الإعجاز هو بالصرفة، وهي عبارة تتردد كثيرا في هذا الموضوع. وقد رأينا في محاضرة سابقة كيف أن الجاحظ رد عليه. ثم رد عليه كذلك أحمد بن محمد الخطابي(ت388هـ) في رسالته التي وضعها في (بيان إعجاز القرآن)، وأنكر أن يكون الإعجاز في الأخبار عن الأمور التي ستقع في المستقبل، وأرجعة إلى بلاغته، وسر إعجاز القرآن هو أنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني، هذه المعاني منسقة في نظم من الألفاظ موجز. وجاء أبو بكر الباقلاني (403هـ) الأشعري ووضع كتابه إعجاز القرآن، وبين أن معجزة نبينا هي القرآن وهاجم فكرة الصرفة بشدة، ثم فصل وجوه إعجاز القرآن وجعلها ثلاثة:

الإخبار عن الغيوب، وورود قصص الأنبياء والأولين والرسول(ص) أمي لا يقرأ ولا يكتب. ولا يتأتى إيراد ذلك إلا عن تعلم، وأنه "بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه" وهو يعني بلاغة القرآن.

وفرع من ذلك فروعا:

1- فهو خارج عن المعهود من نظام كلامهم كله.
2-لم يطرد للعرب كلام فصيح كهذا بمثل طوله وقدره.
3-عجيب نظمه لا يتفاوت ولا يتباين.
4-نظم القرآن وقع موقعا يخرج عن عادة كلام الإنس وكلام الجن.
5-أسلوبه خاص، وقريب إلى الفهم، بعيد عن الوحشي والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة.

أما القاضي أبو الحسن عبد الجبار الهمذاني المعتزلي في كتابه (إعجاز القرآن)، فقد تقدم خطوة كبيرة في دراسة الإعجاز في رفضه للصرفة ومحاولته فهم النظم وتبيين أسسه، بما مهد إلى ظهور عبد القاهر الجرجاني وأيضا نظريته في علم المعاني. وقال :

إن كانوا يقصدون أنهم انصرفوا عن المعارضة لتعذر ذلك عليهم وعجزهم عن مجاراته مع توفر الدواعي فذلك مقبول، أما إن كانوا قادرين عليه ولكن صرفوا فهذا غير مقبول.

المحاضرة4:مفهوم النثر في التراث النقدي:

لم يكن اهتمام الأدباء والنقاد بالشعر بأقل من اهتمامهم بالنثر والنظر في مفهومه ومقوماته، وإن لم يصلنا منه إلا القليل، ويرى ابن رشيق أن ما ضاع من الموروث النثري أكثر كثيرا ممن ضاع من الموروث الشعري "وكان الكلام كله منثورا، فاجتابت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة...فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره".

فيا ترى ما مفهوم النثر؟ وأيهما أسبق الشعر أم النثر؟ وما الفرق بينهما؟ وكيف نظر النقاد إلى النثر؟

1-مفهوم النثر:

جاء في لسان العرب، النثر: ترك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحب إذا بذر...

والنثرة: الخيشوم وما والاه.. أو خرجة ما بين الشاربين حيال وترة الأنف، أو الدرع الواسع.

أما في القاموس المحيط للفيروز آبادي، نثر ينثر الشيء ينثره نثرا ونثارا، رماه متفرقا كنثره ما ينتثر من المائدة فيؤكل للثواب، واستنثر استنشق الماء ثم استخرج ذلك من نفس الأنف كانتثر، وهذه المعاني كلها توحي بالتبعثر واللاتناسق، ولعل ذلك هو السبب في تسمية النثر نثرا لأن شكله يوحي بعدم التناسق عكس الشعر الذي يتميز بشكل واضح لأنه يتقيد بالوزن والقافية.

وعلى هذا فإن الوزن هو المعيار الأساسي للتفريق بين الشعر والنثر. كما جاء في معجم le petit Robert: نثر: شكل خطاب شفوي كتابي، طريقة تعبير خاضعة لأي قاعدة نظم الشعر أو على حد تعبير موليير moliere كل ما ليس نثرا فهو شعر، وكل ما ليس شعرا فهو نثر.

فالنظم هو ما يميز دائما النثر عن الشعر، والمنظوم خلاف المنثور، والنثر أوسع تعبيرا من الشعر.

ومن النقاد من يرى أن النثر أسبق ظهورا من الشعر مع وجود فارق بين اللغة النقدية المتداولة والنثر الأدبي (الفني)، ولكن أقدم النصوص التي وصلتنا شعرية لا نثرية، فالشعر تحفظه الذاكرة ويعتمد على الخيال، وهو أسهل حفظا من النثر، ولذلك وعت الذاكرة النصوص الشعرية، بينما لم تع النصوص النثرية كالخطب وغيرها، ولذلك نطالع دائما في كتب الأدب أن الشعر أسبق ظهورا من النثر الفني الذي يعتمد على العقل.

وإذا كان الشعر ممتازا في أسلوبه بالوزن والقافية، وكان الشعر والنثر متقاربين في الأغراض ،فقد صار من الممكن تعريف النثر بأنه الكلام الذي يصور العقل والشعور ولا يتقيد بوزن ولا قافية.

وقد أقام **قدامة بن جعفر** التفرقة بين الشعر والنثر على أساس أن الشعر محصور بالوزن، محصور بالقافية، يضيق على صاحبه، والنثر مطلق غير محصور فهو يتسع لقائله. ويذكر **أبو حيان التوحيدي** صاحب كتاب"الإمتاع والمؤانسة" قولا وهو أن النثر أصل الكلام والنظم فرعه، والأصل أشرف من الفرع والفرع أنقص من الأصل لكن لكل واحد منهما زائنات وشائنات. فأما زائنات النثر فهي ظاهرة لأن جميع الناس في أول كلامهم يقصدون النثر، ومن شرفه أيضا أن الكتب القديمة والحديثة النازلة من السماء على ألسنة الرسل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللغات كلها منثورة مبسوطة.

ويختم التوحيدي ويخلص إلى أن خير الكلام ما قامت صورته على نظم كأنه نثر ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع ويتمتع مقصوده على الطبع.

أما ابن خلدون:فيرى أن الفرق بين الشعر والنثر من ناحية ناحية الموسيقى، ثم يقرر أنه لا فرق بينها إلا في الوزن، أما التقفية فمشتركة بينهما وهي في الشعر قافية وفي النثر سجع، وكل واحد من الفنيين يشتمل على فنون ومذاهب، ولكل واحد من هذه الفنون أساليب

تختص به من أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص للشعر، والحمد المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وغير ذلك.

أما الحاتمي فقد قال بتفضيل الشعر عن النثر يقول: "وأولى هذين بالمزية والقدم المتقدمة المنظوم، فإنه أبدع مطالع وأنصع مقاطع وأطول عنانا، وأفصح لسانا، وأنور أنجما، وأنفذ أسهما، و أشرد مثلا، وأيسر لفظا ومعنى". ويضيف أنه أبلغ أثرا في النفس من المنثور، غير أن النثر خير منه إذا جاء النظم غير معتدل ولا متناسب القسمة.

هذا و اختلف النقاد العرب القدامى في ترجيح النثر على الشعر،فالثعالبي نوه بفضل النثر للتفاهم في شؤون الحرب و السلم و الصناعة و السياسة و الإدارة،ولكن ابن رشيق رد عليه وفضل الشعر على النثر مستدلا على أن القرآن جاء منثورا لا منظوما،واعجز الشعراء و تحداهم،وقالوا على النبي(ص)شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر و فخامته.

كما يرى القلقشندي أن النثر ارفع درجة من الشعر لأنه مبني على مصالح الأمة لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك و ما يلتحق به من ولايات السيوف و أرباب الأقلام.

ونجد المرزوقي يفضل النثر على الشعر ودعم قوله بان الخطابة كانت لدى الجاهليين أهم من الشعر،ويسانده في ذلك أبو حيان التوحيدي الذي يرى أفضلية النثر على الشعر حيث يقول:"ألا ترى أن الإنسان لا ينطق في أول حاله من لدن طفوليته إلى زمان مديد إلا بالمنثور المتبدد و الميسور المتردد،ولا يلهم إلا ذاك،ولا يناغي إلا بذاك،وليس كذلك المنظوم لأنه صناعي..."،وجمع كثيرا من الأقوال في تفضيل النثر على الشعر.

وتواصلت هذه المسألة مع كثير من النقاد،فمنهم من يفضل النثر و يأتي بالحجج،و منهم من يفضل الشعر و يدلل على ذلك.ومنهم يفضل النثر في أمور والشعر في أمور أخرى.